الباب الخامس

القدس في العهد المملوكي (المماليك الأتراك)

الباب الخامس

القدس في العهد المملوكي (المماليك الأتراك

المماليك:أولئك الشباب الذين استقدمهم قادة المسلمين من البلاد التي فتحوها، وتربوا على أسس الإسلام وكانوا الصفوة المختارة للملوك والأمراء للاستفادة منهم في الحروب، بيد أننا لو تأملنا في أفعالهم لوصفناهم بالملوك، لقيامهم بالأعمال الجليلة في ديار المسلمين، حيث قاموا بتصفية الوجود الصليبي وطرد المغول من هذه البلاد، وبنوا حضارة ما زالت ماثلة للعيان حتى وقتنا الحالي.

لقد تحققت الوحدة بين الأقطار الإسلامية أكثر من مرة، وكان آخرها في عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب عام 647 هـ وفق 1249 م وبعد وفاته تولى الحكم ولده الصغير الملك المعظم غياث الدين توران شاه الذي لم يحسن إدارة الحكم مما تسبب في انقضاض المماليك البحرية عليه فقتلوه، عام 648 هـ وفق 1250 م وبمقتله انتهت الدولة الأيوبية وبدأ فصل جديد.

اجتمع أمراء المماليك على إثر هذا الحادث وانتخبوا "شجرة الدر" زوج الملك السلطان نجم الدين أيوب، لتكون ملكة على البلاد، وتم اختيار الأمير عز الدين أيبك على رأس الجيش، بدأ حبل المودة يتنامى بين الملكة والأمير إلى أن توّج ذلك بزواجهم، فتنازلت له عن الحكم وأصبح الأمير عز الدين أيبك التركماني ملكاً على بلاد المسلمين فانتقل الملك من بني أيوب نهائياً إلى المماليك.

القدس في عهد الملك المعز (عز الدين أيبك) 648 – 655هـ:

وقعت معارك بينه وبين الأيوبيين وتم الصلح عام 651 هـ، حيث يكون للمصريين الأردن بما في ذلك غزة والقدس ونابلس والساحل وللأيوبيين ما وراء ذلك وأخمد ثورة في صعيد مصر.

القدس في عهد الملك الظاهر بيبرس 657 هـ - 676 هـ (1260 م-1277م).

عندما استولى على الحكم، كانت فلسطين إحدى الولايات التي وقعت تحت حكمه، وبهذا فقد أولاها ولاية خاصة سيما وأنها تحتضن بيت المقدس فكان من انجازاته:

أ. جدد كل ما تهدم من قبة الصخرة، ورتب برسم مصالح المسجد كل سنة خمسة آلاف درهم.

ب. جدد قبة السلسلة وزخرفها وأنشأ بها خاناً للسبيل نقل بابه أي باب العيد من دهليز كان للخلفاء المصريين بالقاهرة، [1] وأوقف عليه نصف قرية لفتا وغيرها من القرى من أعمال دمشق. وبنى به مسجداً وطاحوناً وفرناً وبستاناً.

جـ. بنى بالقدس أشياء حسنة من ذلك قبة السلسلة، ورمم شعث الصخرة وغيرها.[2]

د. بنى على قبر موسى قبةً ومسجداً وهو عند الكثيب الأحمر قبل أريحا ووقف عليه وقفا. [3]

---

(1) كان ذلك الباب أحد أبواب القصر الكبير الفاطمي. وقيل له باب العيد، لأن الخليفة كان يخرج منه في يوم العيدين للصلاة. القلقشندى – صبح الأعشى – ج3 ص 350.

(2) مجير الدين الحنبلي، مصدر سابق، ج2 ص 88.

(3) الأتابكي، جمال الدين بن تغربدي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج7 ص 194.

هذا الملك المملوكي المجاهد الذي وقف في وجه الصليبيين والتتار، أولى القدس اهتماما كبيرا ولشدة شغفه بها زارها أكثر من مرة فالمرة الأولى التي ذكرت، والثانية كانت في شعبان عام 664 هـ وفق 1265م.

هـ. بنى رباط البصيري الواقع شمالي الطريق الموصل إلى المسجد الأقصى، القدس في عهد الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي الألفي 678 هـ –689 هـ وفق 1279م –1290م.

كان هذا الملك يعشق القدس كثيرا ولها في قلبه اعتبار كبير، لم يفته في أيام حكمه إلا أن يتبرك بزيارة هذا البلد المقدس عام 682 م وفق 1283 هـ، وكان من إنجازاته الخالدة في القدس ما يلي:

1- بناء رباط قلاوون (الرباط المنصوري).أنشأه سنة 681 هـ بباب الناظر وهو رباط في غاية الحسن والبناء المحكم. وقفه على الفقراء والمساكين.

2- عمّر سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب عند جامع النساء.

3- بناء المسجد القلندري الواقع في طريق دير اللاتين وقد اندثر هذا المسجد. "القلندرية وهي فرقة صوفية نسبة إلى مؤسسها "قلندر يوسف " العربي الأصل الأسباني المولد وتارة تسمها نفسها " ملامتيه". (1)

4 –الكبكية (القبقية) قبة جميلة واقعة في تربة ماميلا وإلى الشمال الشرقي من البركة.

القدس في عهد الملك كتبغاهو زين الدين كتبغا المنصوري 664 هـ – 696 هـ

(1) مصطفى مراد الدباغ مصدر سابق، ج9 ص 262.

كان من أبرز الأعمال التي قام بها في القدس تجديد أجزاء الصخرة المشرفة.

1- جدد عمارة السور الشرقي المطل على باب الرحمة في شهور سنة خمس وتسعين وستمائة.

2- وفي السنة المذكورة بنيت "المدرسة الدودارية" بباب شرف الأنبياء، وهي التي تسمىباب المسجد بسببها، "باب الدودارية" بناها علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدودار الصالحي النجمي وتعرف بدار الصالحين، تاريخ عمارتها 695هـ.

القدس في عهد الملك حسام الدين لاجين المنصوري كان من أبرز الأعمال التي قام بها في القدس.

1- تجديد عمارة محراب داوود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى بالمسجد الأقصى المبارك.

2- تعمير منارة الغوانمة بالمسجد الأقصى المبارك.

3- بناء "المدرسة الأوحدية: تقع في الناحية الغربية لطريق باب حطه قرب بوابة الحرم وهي ملاصقة مع السور الشمالي للحرم وإلى شرق الداودارية والباسطية

القدس في عهد سلطنة محمد ن قلاوون الأولى93 6 – 694 هـ 1293 م 1294 م.

كان من أبرز انجازات هذا السلطان في القدس:

1- رباط الكرد عند باب الحديد سنة 693هـ وفق 1293م، أقامه المقر ألسيفي كرد حاجب الديار المصرية، أقامه بباب الحديد بجوار السور، يسكنه اليوم جماعة من آل الشهابي.

2- بناء المدرسة الجالقية القدس في عهد سلطنة محمد بن قلاوون الثانية798هـ – 708 هـ وفق 1298 م 1308 م

1- **المدرسة الوجيهية**: بخط درج المولة وقف الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن اسعد بن النجا الحنبلي المتوفى في شعبتان سنة أحدى وسبعماية،

2- **المدرسة السلامية** عند باب شرف الأنبياء سنة 700 هـ وفق 1300 م.بجوار المدرسة الدودارية من جهة الشمال.

3- **زاوية المصمودي**: بأعلى حارة المغاربة، وقفها الشيخ عمر بن عبد بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد، أنشأها من ماله وأوقفها على الفقراء والمساكين سنة 703 هـ -1303م كان الشيخ عمر رجلا صالحا، توفي بالقدس ودفن في ماميلا.

القدس في عهد سلطنة محمد بن قلاوون الثالثة 709 هـ - 741 هـ وفق 1309 م 1340 م.

1. بنى الجامع الكائن بداخل القلعة في عام 710 هـ وفق 1310 م عند زاويتها القبلية الغربية،

2. في عام720 هـ – 1320 م أنشئت في حي المغاربة وقف زاوية الشيخ الإمام العارف أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي، حتى أصبح الوقف يعرف بأوقاف أبي مدين الغوث.

3. وفي عام 727 هـ عندما ألم العطش بأهل القدس اهتم تنكز بتعمير قناة السبيل وندب قطلو بك بن الجاشنكير لمباشرة العمل والنفقة عليه، وفي سنة 728 هـ تم العمل من بناء هذه القناة وبنى حوضا سعته نحو مائتي ذراع وركب في الجبل مجاري نقب لها في الحجر حتى دخل الماء إلى القدس، وعمل البركة (الكأس) الواقع بين الصخرة والمسجد الأقصى، كما بنى الحمام الواقع بباب القطانين.[1]

(1) مصطفى مراد الدباغ مصدر سابق، ج9 ص 269.

4- تجديد السور القبلي الذي عند محراب داود، أساسه قديم، لكن عمارته جددت في زمن المماليك البحرية.

ومن الأعمال التي تركها هذا السلطان في القدس:

1. تم فتح شباكين عن يمين المحراب وشماله.
2. تجديد تذهيب قبتي مسجدي الصخرة والأقصى.
3. تعمير القناطر على الدرجتين الشماليتين لصحن الصخرة المقابلتين لبابي حطه والدوداريه.
4. تعمير باب القطانين بالبناء المحكم.

تعمير قناة السبيل التي عند بركة السلطان بظاهر القدس الشريف.[1]

المدارس التي أنشئت في عهد السلطان محمد بن قلاوون في القدس في المرة الثالثة

1. المدرسة الجاولية شمالي الحرم عند درج الغوا نمه

2. المدرسة الكريمية والمدرسة التنكيزية والمدرسة الأمينية والمدرسة الملكية (الجوكندارية) والمدرسة الفخرية.

القدس في عهد السلطان إسماعيل بن محمد بن قلاوون 743 هـ - 746 هـ

1- بناء الزاوية المهمازية: تقع بالقرب من المعظمية من جهة الغرب.

القدس في عهد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون755هـ- 762هـ: 1354م - 1361م.

(1) الدباغ، المصدر نفسه ص 271.

ومن إنجازات هذا السلطان خلال هذه الفترة:

1- المدرسة الفارسية:

2- الدرسة الرغونية

3- المدرسة الخاتونية

4- المدرسة التشتمرية

5- دار القرآن السلامية

6- المدسة الحسنية.

7- المدرسة الأسعردية

كما تم وقف

1- 5 قطع أراضي في قصر البكجوري في الشام معروفة بالمرعى وكانت تدر دخلا قيمته 160 قطعة نقدية.

2- بيت في حي صهيون يدر 80 قطعة نقدية سنويا.

3- بيت إلى يمين باب الحديد قرب رباط السلطان.

4- دكان قرب الطاحون – يدر 10قطع نقدية.

5- طبقة معروفة بحوش الفتوح.

6- دكان في سوق القطانين.

ويؤكد هذه الوقفية الدفتر رقم 522، وكانت الخاتونية تستعمل سكنا للأمراء البارزين الذين كانوا ينتدبون لحكم القدس. والخاتونية هي لدار الخطيب الآن ومؤجرة لعدة عائلات)[1].

(1) أحمد العلمي، مصدر سابق ص 56.

القدس في عهد السلطان المنصور صلاح الدين بن سيف الدين حاجي بن الناصر محمد 762 هـ –764 هـ: 1361 م – 1363 م: وقد تم في عهده إنجاز المشاريع التالية

1- المدرسة الطازية: بخط داود بالقرب من باب السلسلة وقف الأمير طاز المتوفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة [1]. وهي اليوم دار يسكنها جماعة من عائلة هداية.

2-المدرسة المحدثية

3-المدرسة المنجكية: تقع المدرسة المنجكية في حارة باب الناظر على يسار الداخل إلى يسار المسجد الأقصى المبارك وتطل نوافذها الشرقية على ساحة المسجد الأقصى المبارك.

بني الرواق الذي تجلس عليه المنجكية عام 707 هـ إذ يذكر العمري الذي كتب قبل هذا التاريخ ب 17 سنه أن في هذه المنطقة بستان مزروع بالأشجار والكرمة.

ويشغلها اليوم مكاتب دائرة الأوقاف الإسلامية. [2]

الوقفية: شملت الوقفية:

1- جميع الحمام في صفد المعروف سابقا بحمام القلعة والمعروف حاليا بالحمام الجديد.

2- ثلاثة دكاكين معروف بالوكالة في القدس.

3- سهم (1/ 12) من قاعة ثلة الحرافيش بالقدس.

4- حكر لقطعة ارض غربي القدس المعروفة بالواقف وارض الخير.

5- 6 أسهم وثلث وثمن سهمه في قرية بيت صفافا في منطقة القدس.

---

(1) مجير الدين الحنبلي، مصدر سابق، ج 2 ص 45.

(2) محمد هاشم غوشه، مصدر سابق، ص 109.

قطعة أرض معروفة بأرض منجك وأرض الخير في منطقة القدس

القدس في عهد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين حفيد الناصر محمد بن قلاوون 764 هـ – 778 هـ: 1363 م – 1376 م

1-المدرسة البارودية:

بباب الناظر بالقرب من التشتمرية، واقفتها الست ألحاجه سفري خاتون ابنة شرف الدين أبي بكر أبو محمود المعروف والدها بالباوردي، تاريخ وقفها يوم الأحد خامس شهر رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة. [1]

2-المدرسة الحنبلية:

2. اللؤلؤية

القدس في عهد السلطان المنصورعلي بن شعبان 778 هـ – 783 هـ: 1376 م – 1381 م.

وقد تم في عهده إنشاء المدارس التالية

1- المدرسة البلدية:

2- الطشتمرية

القدس في عهد الملك الظاهر برقوق المرحلة الأولى سنة 784 هـ – 791 هـ: 1382 م – 1388 م وقد تم في عهده الإنجازات التالية:

1. المدرسة الجهاركسية:تقع بجوار اليونسية شمالا واليونسية كنيسة من بناء الروم وقسمت نصفين:

الأول: جعل للمدرسة الجهاركسية، والجهاركسية، نسبة إلى واقفها جهاركس الخليلي أمير أخور الملك الظاهر برقوق. توفي قتيلا بدمشق في شهر ربيع الآخر في سنة إحدى وتسعين وسبعمئة.[1]

---

(1) مجير الدين الحنبلي، مصدر سابق، ج2 ص 44.

والثاني: جعل للزاوية اليونسية.

2. **بركة السلطان**: عمرت هذه البركة بظاهر القدس الشريف عام 801 هـ - 1399 م ويذكر صاحب الانس الجليل أن هذه البركة كانت في عهده سنة 900 هـ وما قبلها خرابا. [2]
3. **دكة المؤذنين**: تقع هذه الدكة بالصخرة الشريفة باتجاه المحراب إلى جانب باب المغارة بمباشرة ناظر الحرمين ونائب القدس الناصري محمد بن ألسيفي بهادر الفخري الظاهري عام 789هـ. [1]
4. **أبطلت المكوس** والمظالم والرسوم التي أحدثها قبله نواب القدس في عهد ناظر
5. **خان السلطان**: وقد أنشئ في عهد خان السلطان على طريق باب السلسة سنة 788 هـ. كان يعرف بالوكالة. [3]
6. **دار الست**: كانت تسمى الدار الكبرى، بنتها الست طنشق بنت عبد الله المظفرية
7. **إيصال المياه** إلى القدس من عين العروب سنة 785 هـ بعد عمارتها. [4]
8. **المدرسة الطولونية**: بداخل المسجد فوق الرواق الشمالي، يصعد إليه في نفس الدرج الذي يصعد منه إلى منارة باب الأسباط، أنشأها شهاب الدين احمد بن الناصري محمد الطولوني الظاهري في زمن الملك برقوق، وعلى يد مملوكه آقبغا سنة 800هـ 1397م.

   تولى التدريس فيها الإمام العلامة شهاب الدين أبو البقاء أحمد الزبيري المصري، قدم القدس سنة 830 هـ 1426م وتوفي فيها سنة 854 هـ -1450م وحضر جنازته نائب السلطنة مبارك شاه.
9. **المدرسة الفنرية**: مقابل الطولونية من جهة الشرق

---

(1) مجير الدين الحنبلي، مصدر سابق، ج2 ص 44.

(2) مصطفى مراد الدباغ، مصدر سابق، ج9 ص 280.

(3) = = ج9 ص281.

(4) المقريزي، مصدر سابق، 3/ 10.

المطلب الثاني: القدس في عهد الملك فرج بن برقوق808هـ – 815هـ: 1398م– 1405م

1- نزل الملك فرج القدس واستقر بالمدرسة التنكيزية، وأقام فوزع مالاً على الجماهير.

2- أبطل وظيفة نائب القدس، وذلك بألا يكون نائبا وناظراً للحرمين (الأقصى والخليل). في آن واحد. وثبت ذلك على بلاطة وضعت على حائط باب السلسلة.

3- المدرسة الصبيبية: موقعها: تقع فوق الصخر في الحد الغربي لشمال الحرم بين الأسعردية إلى الشرق والجاولية.

القدس في عهد الملك الأشرف برسباي825هـ –841هـ: 1422م – 1437م

بويع بالخلافة بعد خلع الملك الصالح محمد، فقد دام على سرير الملك ستة عشر عاماً قام بإنشاءات عديدة في القدس منها:

1-**المدرسة الباسطية**: تقع في الرواق الشمالي للمسجد الأقصى لصق المدرسة الدودارية من الشرق.

2- **المدرسة الغادرية**: تقع بداخل المسجد في الحد الشمالي للحرم ومئذنة باب الأسباط. تحتل الغادرية البقعة غربي الرواق وحتى الكريمية.

3- **المدرسة الحسنية**: تقع في الناحية الشمالية لباب الناظر فوق القاعات المعقودة على رباط علاء الدين.

4- **المدرسة العثمانية** بنيت عام 840 هـ. تقع بباب المتوضأ إلى الغرب من ساحة الحرم.

4- **سبيل شعلان وسبيل علاء الدين البصيري**: يظهر أن سبيل شعلان، السبيل والمصلى والمحراب اللذين بجانبه قد جددا تجديداً، فإنك تجد عليه هذه الكلمات منقوشة بالنسخ المملوكي: "جدد هذا السبيل والمصلى والمحراب...

القدس في عهد الملك الأشرف أينال العلائي سنة 857هـ – 865هـ: 1453م-1461م.

عمّر في عهده المسجد الأقصى المبارك على يد ناظر الحرمين الشريفين الأمير عبد العزيز العراقي المشهور بابن المعلاق، ووضع فيه المصحف الشريف، بالقرب من جامع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تجاه الشباك المطل على عين سلوان، ورتب عليه قارئا ووقف عليه جهة.[1]

القدس في عهد الملك الظاهر خشقدم 865 هـ – 872 هـ: 1461 م – 1468 م

أصدر مرسوماً بإبطال المظالم من القدس، بدأ بتعمير قناة السبيل التي تصل العروب بالقدس سنة 867هـ – 1462م، لكنه مات قبل أن يتم تعميرها. بناء البركة الشرقية من برك سليمان وكانت العمارة على يد الأمير ناصر الدين بن الهمام الناظر.

المدرسة الأشرفية الموقع: تقع في الحد الغربي للحرم بين مأذنة باب السلسلة والعثمانية عدة دكاكين، قاعة معصرة في سوق الغنم، أراضي في بيت دجن، أراضي في السافرية، أراضي في ايبا، أراضي في ماجد، وقد قامت دائرة الأوقاف الإسلامية بتحويل الطابق الأرضي لمكتبة هي مكتبة المسجد الأقصى المبارك بعد تعميرة، أما الطابق العلوي فجزء منه مدرسة الثانوية الشرعية للبنات وبجانب ذلك دور سكن لعلائلات الإمام والفتياني والدجاني. [2]

(1) مصطفى مراد الدباغ، مصدر سابق،ج9 ص 287.

(2) أحمد العلمي، المصدر نفسه ص 120.

القدس في عهد الملك الأشرف أبو النصر قايتباي 873هـ 902 هـ 1468 م –1496 م.

1. "في نفس العام الذي تولى فيه هذا الملك الحكم، حدث جدب في بيت المقدس مما تسبب في سوء أوضاع الناس فكثرت السرقات والفتن وحل الوباء بالناس وارتفعت الأسعار، شعر هذا الملك بوطأة الحال فأوفد الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبي أحد الخزندارية بالخدمة الشريفة إلى القدس فأصلح الحال وعاد إلى وضعه بعد إجراء الإصلاحات اللازمة واستبشر الناس خيراً.
2. في عام 877 هـ شرع هذا الناظر في عمارة الدرج المتوصل منها إلى الصخرة المشرفة باجاه باب السلسلة المجاور للقبة النحوية.

خلال الفترة التي كان فيها هذا الناظر والياً على القدس حدثت فتنة كادت تطل برأسها على سكان هذا البلد، حيث اختلف المسلمون واليهود على دار كانت تقع بين كنيس يهودي ومسجد للمسلمين في حارة اليهود وادعى كل من الطرفين بملكية الدار، عرض الأمر على القضاء فحكم بتمكين اليهود منها.

1. في عام 881 هـ أوقف الخواجا "محمد بن الزمن " أحد خواص قايتباي الرباط الزمني الواقع بباب المتوضا بإتجاه المدرسة العثمانية.
2. في عام 884 هـ قام بتجديد الرصاص الواقع على سطح المسجد الأقصى المبارك.
3. في عام 885 هـ أنشأ المقر الزيني أبو بكر بن مزهر الأنصاري الشافعي المدرسة المزهرية بباب الحديد، بعضها راكب على ظهر الأرغونية، جانب منها خراب والجانب الآخر يسكنه فريق من آل الشعباني.
4. مدرسة رباط الزمني:يقع في الناحية الشمالية لزقاق باب المطهرة قرب البوابة، ومقابل العثمانية.

مع نهاية هذا الملك المملوكي أفل نجم المماليك، حيث أنه كان محبا للعمارة وإنشاء المدارس والمساجد ودور العبادة، وما زالت آثار المماليك ماثلة للعيان، خالدة على مدى الزمان تتحدث عنها الركبان. وشواهدها ماثلة في بيت المقدس وغزة وخليل الرحمن.

بعد وفاته تولى ستة سلاطين الملك، بيد أنهم كانت تواجههم قوة الأتراك العثمانيين، الذين تمكنوا في النهاية من سلب الملك منهم إثر معركة مرج دابق في شهر رجب 922هـ الموافق 1516م، ولهذه المعركة انتهى حكم المماليك الشراكسة والأتراك، وتحول الملك إلى بني عثمان، وفتحت صفحة جديدة في تاريخ هذه الأمة.

هذه مجمل المدارس المملوكية في القدس الشريف إبّان فترة المماليك والتي كانت في أكناف المسجد الأقصى المبارك (الحرم القدسي الشريف).

لقد كانت فترة المماليك فترة ثرية جداً في تأسيس المدارس في أنحاء مختلفة من البلاد التي كانت تضع يدها عليها، فكيف بنا ونحن في أكناف المسجد الأقصى المبارك ورحاب المسجد الإبراهيمي الشريف في مدينة خليل الرحمن الذي يزخر بمآثرهم حتى وقتنا الحاضر.

وقد تم العثور ما يربو على 40 مدرسة مملوكية، هذا بالإضافة إلى المدارس ودور العلم الأخرى في مناطق متعددة من أرض المسلمين، وهذا يقودنا إلى أن المماليك كانوا دولة علم وحكم وذود عن أرض المسلمين فدحروا المغول الذين تم تصفيتهم من هذه الديار على أيديهم.